بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

جاءت هذه الدراسة تحمل عنوان الذب عن محارم الله تعالى "حسان بن ثابت أنموذجاً" ونصرة لديننا الحنيف ولرسولنا الكريم -صلى الله عليه وسلم-، وقع اختياري على هذا البحث؛ الذي يهدف إلى شحذ الهمم واستنهاض الأمة المسلمة للذب عن حياض الإسلام بكل الوسائل والآليات المتاحة، أسوة بكل جندي مخلص باع نفسه رخيصة من أجل رفع راية الإسلام.

ومحاولة النيل من المصطفى -صلى الله عليه وسلم- وإن تكررت في الآونة الأخيرة؛ لكنها القضية القديمة المتجددة على مر العصور والدهور، قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يطفئوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ إِن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾. (1)

والدراسة تهدف إلى دراسة النص بطريقة علمية ومنهجية، واستنطاقه بغية الوصول إلى المعارف المطلوبة؛ حتى نقف على الدور الريادي الذي قام به حسان ابن ثابت في الذب عن محارم الله تعالى، وكيف استثمر شاعر النبوة مهاراته الفنية وملكاته الأدبية ووظفها لدحر أعداء الله ورسوله.

والله من وراء القصد وإياه نستعين.

1 - سورة التوبة آية / 32.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين، وأسألك اللهم أن تصلى وتسلم على خير المرسلين محمد بن عبد الله ومن اهتدى بهديه ووالاه. وبعد:

تعرضت الأمة المحمدية في الآونة الأخيرة لمحنة زلزلت كيانها واستفزت مشاعرها؛ وتمثلت هذه المحنة القاسية وهذا التحدي العظيم؛ في تلك الهجمة الشرسة القذرة من قبل أعداء الله ورسوله -قاتلهم الله- والتي حاولت النيل من مقام المصطفى -صلى الله عليه وسلم- وهي القضية القديمة الجديدة، فقد دأب أعداء الإسلام منذ أن أشرقت شمسه، وعم نوره جزيرة العرب إلى محاربة الدين الجديد بكل السبل والوسائل المتاحة لهم، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (2) ونصرة لديننا الحنيف ولرسولنا الكريم -صلى الله عليه وسلم- وقع اختياري على هذا البحث؛ والذي جاء تحت عنوان "الذب عن محارم الله تعالى حسان بن ثابت أنموذجاً".

وسوف اعتمد على المنهج الوصفي التحليلي؛ لدراسة ما جادت به قريحة شاعر النبوة حسان بن ثابت في هذا المضمار؛ حتى أخلُص إلى الحقائق العلمية المنشودة؛ وذلك عن طريق فهم المقرؤ؛ لأن دراسة النص تعين الدارس على الحصول على مراده من العلوم والمعارف، واعتمدت الدراسة على الطريقة المنهجية العلمية؛ التي تعتمد على الدراسة الشمولية للنص لأن: "لغة علم النص لا تتوقف عند كلمات النص، وما يمتلكه مستويات الدرس اللغوي من أصوات وصرف ونحو ودلالة فحسب؛ وإنما يحاول النفاذ إلى ما وراء النص الجاهز من عوامل معرفية ونفسية واجتماعية، ومن عمليات عقلية، كان النص حصيلة لتفاعلها جميعًا". 3 ()

2 - سورة الصف آية / 8.

3 - مدخل إلى لغة علم النص، روبرت ديبوغراند وآخرين، مطبعة دار الكاتب، القدس، 1992م، ص/ 7.

ومن أهم العوامل التي تصب في بوتقة فهم النص الأدبي واستنطاقه الالتفات إلى أهمية تكامل العملية الإبداعية بين الشاعر والنص والقارئ؛ أي لابد من الاهتمام بالحضور الفعلي للقارئ؛ لأنه شريك في العملية الإبداعية في المقام الأول؛ إذاً لابد من السمو بذوقه الأدبي وحسه الفني، وحتى لا يصاب النص بالإنكفاء والضمور؛ وسر نجاح العملية الإبداعية يكمن في تفاعل المتلقي مع النص، وهكذا يكون النص قد أسهم في شحذ همة المتلقي، واستنهاضه للدفاع عن نبيه الكريم، كذلك لابد من الاستفادة من الدراسات السيمولوجية [4] في هذا المجال؛ لأنها تعين الباحث على فك بعض الرموز وتلقي بظلالها حول بعض الإشارات. فضلًا عن ذلك يجب عدم إغفال أهمية عنصري الزمان والمكان؛ لِمَا لهما من أهمية في إزاحة الإبهام عن النص ومن ثم فهمه.

وهكذا يستطيع الدارس أن يقف على الدور الطليعي الذي قام به حسان بن ثابت وذلك من خلال فهم ما جادت به قريحته من نصوص، ثم محاولة الغوص داخل النص لاكتشاف حقيقة ما ذهب إليه شاعر النبوة.

وقامت هيكلية الدراسة على مبحثين سبقتهما مقدمة وأعقبتهما خاتمة.

تناول المبحث الأول الآليات التي استخدمها حسان في حربه الضروس ضد أعداء الله ورسوله، بينما تناول المبحث الثاني الذخيرة والقذائف النارية التي استخدمها حسان نصرة للمصطفى -صلى الله عليه وسلم- وتمثلت هذه الذخائر

4- السيمولوجية تعني علم الرموز والاشارات، وعرفها دي سوسير: "العلم الذي يدرس حياة العلامات في كشف الحياة الاجتماعية، من خلال عدم الفصل بين مادة التعبير ومعنى التعبير، وهي تقترب من المحتويات، وتحاول الابتعاد شيئًا فشيئًا عن الدلالات (ينظر كتاب: ما هي السيمولوجية؟)، رولان بارت، ترجمة، محمد نظيف، مكتبة أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1994م، ص/ 19. بينما ذهب رولان بارت بأن السيمولوجية: هي ذلك العمل؛ الذي يصفي اللسان، ويظهر اللسانيات، وينقى الخطأ - مما يعلق به- أي الرغبات والمخاوف والإغراءت والعواطف والاحتجاجات والاعتذارات والاعتداءات والنغمات، وكل ما تنطوي عليه اللغة الحية (ينظر كتاب درس السيمولوجيا، رولان بارت، ترجمة بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1993م، ص/ 2).

على تباينها واختلاف ألوانها في سلاح الكلمة؛ التي وظفها بوعي وإدراك فأتت أُكلها بإذن ربها.

وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد حتى أتمكن من الوقوف على الدور العظيم الذي قام به شاعر النبوة في الدفاع عن محارم الله تعالى، ونصرة الإسلام ونبيه -صلى الله عليه وسلم- وكيف وظَّف حسان ملكته الشعرية واستثمرها في الذب عن محارم الله تعالى.

الفصل الأول

الآليات التي استخدمها حسان [5]

لما اشتد أذى كفار قريش اضطر المصطفى -صلى الله عليه وسلم- أن يهاجر من مكة إلى المدينة، وهكذا وقفت قريش ومن كان يعينها على الكفر والفجور، ويساندها على أذى الرسول -صلى الله عليه وسلم- في جانب، وكان في الجانب الآخر نبي الرحمة محمد بن عبد الله ومن التف حوله ممن آمن بالله ربًا وبالقرآن كتابًا وبمحمد -صلى الله عليه وسلم- نبيًا ورسولًا.

واستخدمت قريش كل ما لديها من عدة وعتاد؛ حتى تحد من انتشار الدين الجديد، ولجأت إلى سلاح الكلمة، وكان عرب الجاهلية أهل لسن وبيان، ولا يشق لهم غبار في هذا المضمار، وسخروا كل ملكاتهم الأدبية وحاولوا أن ينسجوا من القوافي سياجًا منيعًا؛ حتى يكون حجر عثرة في طريق المسلمين، وبرز عدد من أعوان الشرك في سماء مكة ينشدون الشعر؛ منهم على سبيل المثال لا الحصر أبو سفيان بن الحارث، وعبد الله بن الزِّبَعْرَي، وضرار بن الخطاب، وهبيرة بن أبي وهب؛ وغيرهم ممن عمى الله تعالى قلوبهم وأخذ بصيرتهم.

---

5 – هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام، ينتهي نسبه إلى بني النجار، فهو نجاري خزرجي النسب أمًا وأبًا، وكنيته أبو الوليد، وأبو عبد الرحمن، وأمه الفريعة بنت خالد الخزرجية، أما قوم حسان فهم من سادات اليمن، أهل حسب ونسب، فضلًا عن الرياسة والقيادة، وقدموا إلى شمال الجزيرة العربية بعد انهيار سد مأرب، واستقر الأوس والخزرج بالمدينة، بينما استقر الغساسنة بالشام، واتخذ اللخميون من الحيرة مستقرا لهم، (ينظر النصوص الأدبية المختارة: علي حسين العتوم، مكتبة الفلاح للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1995م، ص/ 15). ولد شاعر النبوة بالمدينة، أما سنة ولادته كما ذكر ابن هشام نقلًا عن حسان: "والله إني لغلام يفعة، ابن سبع سنين أو ثمان، أعقل كل ما سمعت؛ إذ سمعت يهوديًا يصرخ بأعلى صوته على أطمة يثرب: يا معشر يهود، حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا له: ويلك مالك؟ قال: "طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به، فلما سئل سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت عن عمر حسان مقدم رسول الله – صلى الله عليه وسلم- عليه بالمدينة قال: ستون سنة، وقدمها وهو ابن ثلاث وخمسين، فسمع حسان ما سمع وهو ابن سبع سنين، فهو إذاً قد ولد قبل الرسول بما يقرب من سبع سنين، ومولد الرسول كان عام 571م، وهكذا عاش حسان بن ثابت ستين عامًا في الجاهلية أي قبل مبعثه -صلى الله عليه وسلم-، وما يماثلها تقريبًا في الإسلام، وحسان بن ثابت من الشعراء المخضرمين" (ينظر حسان بن ثابت حياته وشعره: يوسف عيسى، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1991م، ص/ 19-20).

أراد الله تعالى أن يشرح قلب حسان للإسلام؛ عندما هاجر المصطفى –صلى الله عليه وسلم– من مكة إلى المدينة، وكان يومئذ قد اشتد أذى كفار قريش ضد المصطفى –صلى الله عليه وسلم–، الذي تألم منهم أشد الألم، وعمى الله بصيرة كفار قريش؛ لذا تمادوا في عداوتهم للإسلام، واستخدموا كل أنواع الأسلحة المادية والمعنوية في حروبهم الغاشمة ضد الإسلام والمسلمين، وكان من بين الأسلحة المعنوية التي استخدمها كفار قريش ما يعرف اليوم بمصطلح الحرب الباردة أو سلاح الكلمة؛ فقد انتشرت أشعارهم بين القبائل العربية، وسخروا كل فصاحتهم التي كانت من أهم مفاخرهم في حربهم المعنوية ضد الدين الجديد، عندئذ سأل الرسول –صلى الله عليه وسلم–: "ما منع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟ فقال حسان بن ثابت: أنا لها وأخذ بطرف لسانه وضرب به أرنبة أنفه وقال: والله ما يسرني به مقول بين بصرى وصنعاء". (6)

ومن يومها جرد الفارس الجسور لسانه للذب عن محارم الله تعالى، كما جرده للرد على كل من تسول له نفسه بمحاولة النيل من نبي الرحمة محمد –صلى الله عليه وسلم– وروى كعب بن مالك عن أبيه أنه قال للنبي –صلى الله عليه وسلم– "إن الله عز وجل قد أنزل في الشعراء ما أنزل، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– : "والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل". (7)

عدة حسان وعتاده

أساليب الجهاد تختلف من شخص لآخر؛ لأن كل إنسان ميسر لما خلق له، ووضح المصطفى –صلى الله عليه وسلم– أنواع الجهاد في قوله: "إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه" (8) عليه يتمتع كل جندي –باع نفسه رخيصة لله تعالى ابتغاء مرضاته

6 – الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1986م، ج4/ 137.

7 – تيسير العلي القدير لاختصار ابن كثير: تعليق محمد نسيب الرفاعي، مكتبة المعارف، مصر، د. ت.، ج3/ 354.

8 – المرجع السابق: ج3/ 354.

وثمر عن ساعد الجد للذب عن محارم الله تعالى- من الجنود بمهارات وقدرات وخبرات؛ تمكنه من تحقيق النصر أو ما يصبو إليه من نجاحات. وتتفاوت هذه القدرات والمهارات من جندي لآخر، كذلك لابد من صقل هذه المهارات بما يناسب المعركة من علوم ومعارف وآليات وعدة وعتاد؛ أي أن يلبس لكل حالة لبوسها. كما كان عليه أن يعرف من يفاوض؛ لأن هذا الأسلوب من الأساليب الفعالة التي تقود إلى معرفة الآخر، وقراءة أفكاره ومن ثم يمكن التغلب عليه، لقد استلم شاعر النبوة مقاليد الدفاع عن الإسلام وعن الرسول -صلى الله عليه وسلم-، إذاً وجب عليه أن يتحلى بالسمات القيادية؛ التي تؤهله للقيام بهذا الدور الريادي كما ينبغي ويجب، وكانت من أهم المهام الملقاة على عاتقه بل من الأولويات أن يقوم بالدور الإعلامي على أحسن وجه، وإلى هذا المعنى أشار محمد كمال إمام: "وعلى الإعلامي المسلم أن يقوم بدراسة ميدانية لاختيار طبيعة المجتمع الذي يتحرك فيه واختيار نوعية الوسائل؛ التي تبلغه إلى غاياته الإستراتيجية".[9]

وكان على شاعر النبوة أن ينافس فحول شعراء الجاهلية وهم رؤوس الكفر وقتئذ، وكانوا يدينون بدين اللات والعزى، وغيرها من الآلهة، وكان حسان على علم ودارية بأهمية الشعر في حياة عرب الحجاز؛ لأنه سجل حياتهم ووعاء مفاخرهم ومنافراتهم، فضلًا عن ذلك كان للشاعر عندهم حظوة؛لأنه يمثل وكالة أنباء متجولة، لذا كان له القدح المعلى في كل المحافل؛ وبالتالي وجب على حسان أن يسخر كل آليات الدعاية المتعارف عليها في بيئته والمتاحة يومئذ، كذلك كان عليه أن يلتفت إلى أهمية الأساليب الهجومية والدفاعية؛ وذلك بما يناسبهما من إعلان لإزاحة نقاب الجهل، وتثبيت دعائم الحق.

وعلى الباحث أن يتأمل فيما جادت به قريحة حسان ومحاولة الغوص داخل النص؛ لأن النص كما ذكر علي حرب: "ميدان معرفي مستقل، أي مجالٌ

9 – الإعلام والاتصال بالجماهير: محمد كمال إمام، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت.، ص/ 149.

لإنتاج معرفة تجعلنا نعيد النظر فيما كنا نعرفه عن النص والمعرفة في آن واحد، من هنا فهو يستأثر الآن باهتمام الباحثين، وينشغل به أهل الفكر على اختلاف ميادين علمهم ومجالات اختصاصهم". [10] أي أن معرفة النص لم تعد مجرد وسيلة أو أداة لاكتساب ما نحتاجه من علوم ومعارف.

عليه لابد من إعادة قراءة المشروع الدعوي والنهضوي والحضاري الذي تبناه حسان بن ثابت في عصر النبوة، ومعلم البشرية الأول بين ظهرانيهم يتنزل عليه الوحي من السماء، يعلم ويرشد ويوجه ويرسي الدعائم القوية والمتينة للأمة المسلمة، فشعر حسان تجاوز كل الأغراض الشعرية المتعارف عليها؛ فهو ليس مجرد مدح أو هجاء، أو رثاء؛ لكنه تحمل عبء ترسيخ الدين الجديد في القلوب والعقول، وكان حسان يهدف من هذه الرسالة إلى تغير سلوك الفرد، فالتأثير فقط لا يكفي لكن لابد أن تتم الاستجابة.

وجعل تعاليمه السمحة دستور حياة، ونهج ينتهجه كل من آمن بالله ربًا وبالقرآن كتابًا وبمحمد –صلى الله عليه وسلم– نبيًا ورسولًا.

بدأ حسان في الإعداد والتحضير لتولي مهامه؛ والتي تتلخص في الذب عن حياض الإسلام، وسخر كل قدراته وخبراته ومهاراته للقيام بهذا الدور العظيم، وحقًا على قدر أهل العزم تأتي العزائم، ومن هذه المحاور التي يسرت له مهمته، وأعانته على دحر فلول الكفر وأعداء الله ورسوله ما يأتي:

1– الموهبة الشعرية الفذة

وموهبة حسان وملكته الشعرية من الإرث الأدبي الذي ورثه عن آبائه وأجداده، فقد كان لقومه باع طويل في ميادين الشعر وصالوا وجالوا في دنيا القوافي، وكما ورث عن أبائه هذه الملكات الإبداعية ورَّثَها لأبنائه، واتفق الرواة

10– نقد النص: علي حرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1995م، ص/ 7.

والنقاد على أن حسان بن ثابت أشعر أهل المدر في عصره، وأشعر أهل اليمن قاطبة، [11] كما شهد المبرد لآل حسان بالشاعرية إذ يقول: "وأعرق قوم كانوا في الشعر آل حسان فإنهم يعدون ستة في نسق كلهم شاعر وهم: سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام". [12] وافتخر بهذه الموهبة:

لِسَانِي صَارِمُ لاَعَيْبَ فِيهِ وَبَحْرِي لاَ تُكَدِّرُهُ الدِّلاَءُ [13]

كذلك قوله:

لنا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ سِبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ

فَنُحْكِمُ بالْقَوَافِي مَنْ هَجَانَا وَنَضْرِبُ حِينَ تَخْتَلِطُ الدِّمَاءُ [14]

وطالت الموهبة الشعرية نساء آل حسان؛ فأخته خوله كانت تقرض الشعر وابنته ليلى لها صولات وجولات في ميادين الشعر، وذكر ابن قتيبة أن حسانًا أرق يومًا وعنَّ له الشعر وكانت بجانبه ابنته ليلى وبدأ ينشد:

مَتَارِيكُ أَذْنَابِ الأُمُورِ إذا اعْتَرَتْ أَخَذْنَا الْفُروعَ وأجْتَثَثْنَا أُصُولَهَا

واستعصت عليه لغة القوافي حينئذ فأجازت عنه ابنته قائلة:

مَقَاويلُ بِالمَعْروفِ خُرْسٌ عَنْ الخَنَا كِرَامٌ يُعَاطُونَ العَشِيرةَ سُؤلَهَا

عندئذ تفجرت ينابيع حسان وانتشت نفسه وأنشد:

وقَافِيَةٌ مِثَلُ السِنَانِ رُزِئْتُهَا تَنَاوَلتُ مَنْ جَوِ السَّمَاءِ نُزُولِهَا [15]

---

11 – تاريخ الأدب العربي: عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، 1984م، ص/ 326.

12 – شرح ديوان حسان: ص/ ح–م (المقدمة).

13 – المرجع السابق: ص/ 10.

14 – المرجع السابق: ص/ 6.

15 – الشعر والشعراء: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1985م، ص/ 189.

وهكذا ورث آل حسان الشعر كابرًا عن كابر، وكان لحسان باع طويل في ميادين الشعر، فضلًا عن هذا فقد كان حسان من أبرز شعراء الجاهلية، وله إسهامات واضحة في الساحة الأدبية وقتئذ، وكان لسان قومه في النزاعات التي نشبت بينهم وبين الأوس في الجاهلية؛ ومكنته هذه الموهبة الفذة والبصيرة النافذة؛ من منازلة فحول الشعراء منهم على سبيل المثال لا الحصر قيس بن الخطيم، وأبو قيس بن الأسلت. فضلًا عن ذلك فقد كان لسان حال قومه في شتى المحافل والميادين فتراه يذكر أيامهم وأمجادهم، كما كان من رواد المواسم الأدبية.

لقد جمع حسان المجد من جميع أطرافه؛ فقد جمع إلى الحسب والنسب الرفيعين الأدب، وأشار إلى هذه المفاخر في لاميته التي افتخر فيها بنسبه وأصله الطيب، كما أشار إلى قدراته ومهاراته في دنيا القوافي؛ التي مكنته من هجاء كل من يحاول النيل منه:

نَسَبِي أَصِيلٌ فِي الكِرَامِ وَمِذْوَدِي ... تَكْوِي مَوَاسِمُهُ جَنُوبَ الْمُصْطَلِي

وَلَقَدْ تُقَلَّدُنَا الْعَشِيرَةُ أَمْرَهَا ... وَنَسُودُ يَوْمَ النَّائِبَاتِ وَنَعْتَلِي

وَيَسُودُ سَيِّدُنَا جَحَاجِحَ سَادَةً ... وَيُصِيبُ قَائِلُنَا سَوَاءَ الْمَفْصِلِ

وَنُحَاوِلُ الأَمْرَ الْمُهِمَّ خِطَابُةً ... فِيهِمْ وَنَفْصِلُ كُلَّ أَمْرٍ مُعْضِلِ (16)

وكان حسان قد نظم في أيام جاهليته في كل ضروب الشعر، أي طرق كل الأبواب؛ التي طرقها من قبله الشعراء من مدح وفخر وهجاء ووصف وغيرها من الموضوعات، كما وقف على الأطلال وبكى على الآثار الدراسة جريًا وراء سنة قد خلت، أو سيرًا على نهج من سبقه من الشعراء؛ وكان حسان في أيام جاهليته شاعرًا لا يشق له غبار، تغنى بأمجاد قومه ورفع من ذكرهم، إلا إن جل مدحه في جاهليته كان لقومه؛ فقد كان شديد الاعتزاز بهم:

16- شرح ديوان حسان: ص/ 312.

وَيَثْـــــرِبُ تَعْلَـــــمُ أَنّا بِهَـــــا إِذّا الْتَـــبَسَ الأَمْـــرُ مَيزَانُهَـــا
وَيَثْـــــرِبُ تَعْلَـــــمُ أَنّا بِهَـــــا إِذَا قَحَـــطَ الْقَطْـــرُ نُوآنُهَـــا
وَيَثْـــــرِبُ تَعْلَـــــمُ أَنّا بِهَـــــا إِذَا خَافَـتِ الأَوْسَ جَيرَانُهَـا [17]

بينما قصره بعد أن شرح الله تعالى صدره للإسلام على المصطفى -صلى الله عليه وسلم-، كما صب سوط عذاب على كفار قريش، وهجاهم مر الهجاء، وطعن في أحسابهم وأنسابهم وكان ذلك أشد عليهم من وقع النبل.

وهكذا حبا الله تعالى حسان بن ثابت بخبرات ومهارات وقدرات مكنته من هجاء أعداء الإسلام، وأهلته للدفاع عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في حربه الكلامية ضد أعداء الإسلام، وذكر عمر فروخ: "اكتسب شعر حسان في الإسلام كثيرًا من العذوبة والإخلاص، وكثرت فيه التعابير الإسلامية والاقتباس من القرآن الكريم، وحسان خليق أن يسمى رأس البديعيين، فهو الذي بدأ فن الشعر في المديح النبوي الشريف"؛ [18] إذ وظف حسان كل ما حباه الله تعالى به من ملكات شعرية للدفاع عن المصطفى -صلى الله عليه وسلم- وسخر كل طاقاته الإبداعية للرد على جنود الكفر وإفحامهم، عندما حاول أبو سفيان أيام ضلالته النيل من المصطفى -صلى الله عليه وسلم- تصدى له حسان وهاجمه قائلًا:

هَجَـوْتَ مُحَمَّـدًا فَأَجَبْـتُ عَنْـهُ وَعِنْـــــدَ اللهِ فِي ذَاكَ الْجَـــــزَاءُ
أَتَهْجُـوهُ وَلَسْـتَ لَـهُ بِكُـفْءٍ فَشَـــرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَـــا الْفِـــدَاءُ
هَجَـوْتَ مُبَارَكًـا بَـرًّا حَنِيفًـا أَمِـــينُ اللهِ شِـــيمَتُهُ الوَفَـــاءُ
فَمَـن يَهْجُـو رَسُـولَ اللهِ مِـنْكُمْ وَيَمْدَحَـهُ وينْصُـرَهُ سَـوَاءُ [19]

17- شرح ديوان حسان: ص/ 416. ميزانه: أي قوامها. والقطر أراد به المطر. نوائها: جمع أنواء، ومعنى البيت أي إذا ألم بها الجفاف والقحط في سنة من السنوات؛ فنحن نجود عليها بالمطر؛ كما تجود الأنواء.

18 - تاريخ الأدب العربي: عمر فروخ، ص/ 326.

19 - ديوان حسان: ص/ 20.

جاءت هذه الأبيات كرد فعل طبيعي لواقع عاشه الشاعر وتفاعل معه بصدق؛ لأن القضية مست شغاف قلبه، كذلك كانت قوافي حسان ترجمة صادقة لغيرة المسلم عندما تستفز مشاعره بانتهاك حرمة من حرمات الله تعالى، فالواقع يشير إلى المحاولة الفاشلة التي قام بها أبو سفيان للنيل من مقام الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وكان منطلق حسان في هذه القصيدة حبه للرسول -صلى الله عليه وسلم-؛ لذا نبذ كل أعراض الدنيا الفانية وأقبل على الله تعالى بكلياته؛ فالجزاء والثواب كان يرجوه من ملك الملوك؛ وهكذا نجد أن وظيفة النص تغيرت من وسيلة للمعرفة إلى: "ميدان معرفي مستقل، أي مجال لإنتاج معرفة تجعلنا نعيد النظر فيما كنا نعرفه عن النص والمعرفة في آن واحد". [20] وهنا لابد من وقفة لنستمع إلى صوت الرسول -صلى الله عليه وسلم- وهو يدعو لحسان في البيت الأول بالجنة عندما أنشد (وَعِنْدَ اللهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ) فرد عليه جُزيت الجنة يا حسان، أو جزاؤك على الله الجنة يا حسان، فدعا له بالجنة للمرة الأولى، ولقد امتد إبداع حسان وطال المتلقي أو السامع إذلم يتجاهله بل جعله حاضرًا داخل النص، لقد خلقت القصيدة مساحة لإبداع المتلقي؛ وهكذا ولدت وهي تحمل كل معاني الحياة؛ لأن تفاعل حسان مع النص امتدت ظلاله الطيبة وشملت الطرف الآخر، والدليل على ذلك أن المصطفى -صلى الله عليه وسلم- أعجبه النص.

2- الاستعداد النفسي

الاستعداد النفسي يعني صدق التوجه لله تعالى وهو تمام الإيمان بالله تعالى وهكذا نطق لسان حسان ليشهد على حقيقة هذا الإيمان:

شَـــهِدْتُ بِإِذْنِ اللهِ أنَّ مُحَمَّـــدًا رَسُولُ الَّذِي فَوْقَ السَّمَواتِ مِنْ عَلُ

وَأَنَّ أبَا يَحْـــيَى وَيَحْـــيَى كِلاَهُمـــا لَـــهُ عَمَـــلٌ فِي دِينِـــهِ مُتَقَبَّـــلُ

20 - نقد النص: علي حرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1995م، ص/ 7.

وَأَنَّ الَّـتي بالْجِـزْعِ مِـنْ بَطْـنِ نَخْلَـةٍ وَمَـنْ دَانَهَـا فِـلٌّ مِـنَ الْخَـيْرِ مَعْـزِلُ
وَأَنَّ الَّـذي عَـادَى الْيَهُـودُ ابْـنَ مَـرْيَمٍ رَسُـولٌ أَتَى مِنْ عِنْدِ ذِي العَرْشِ مُرْسَلُ
وَأَنَّ أَخَـا الأَحْقَـافِ إِذْ يَعْذُلُونَـهُ يَقُـومُ بِـدِينِ اللهِ فِـيهِمْ فَيَعْـدِلُ [21]

رسم حسان هذه اللوحة لنتأمل فيها ونستخلص منها العديد من الحقائق، فضلًا عن الفوائد؛ وصدق التوجه أهله ليقدم عصارة تجربته في هذه الحياة، وكيف هداه قلبه وعقله إلى حقيقة الإيمان، ونلاحظ هنا مدى تفاعل المتلقي مع النص والمتلقي الأول كان الرسول –صلى الله عليه وسلم–؛ لذا رد عليه مباشرة: وأنا أشهد معك. وهذا التفاعل الذي شهده هذا النص جعله يموج بالحركة وينبذ الجمود أو الانكسار الذي قد يصاحب النص.

كذلك من أهم مصادر الاستعداد النفسي السماحة التي وجدها حسان في الإسلام، في شتى مناحي الحياة، وهذا دافع قوي يمد الإنسان بطاقات لا قبل له بها.

3 – المدد الإلهي

المدد والعون الإلهي يعنى التوفيق الذي يكتبه الله تعالى لمن يشاء من عباده، ويكفى حسان بن ثابت –رضي الله عنه– دعاء الرسول –صلى الله عليه وسلم– له: "اللهم أيده بروح القدس". [22] وكذلك قوله –صلى الله عليه وسلم–: "أهجهم –أو قال– هاجهم وجبريل معك". [23]

وهكذا انطلق حسان للدفاع عن المسلمين ومهاجمة الكفار وزاده في هذا

21 – ديوان حسان: ص/ 319–320.

22 – صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، 2002م، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر، حديث رقم 6152.

23 – المصدر السابق: حديث رقم6153، وتيسير العلي القدير لاختصار ابن كثير، ج3/ 354.

الـدرب العـون الإلهـي، والمـدد الـرباني، وبـدأ يمـارس هـذا الـدور العظـيم للذب عن محارم الله تعالى؛ وسخر شعره لخدمة الإسلام، ومدح المصطفى -صلى الله عليه وسلم-، كما مدح الصحابة الكرام وأشاد بالدور العظيم الذي يقومون به في سبيل تثبيت دعائم الإسلام، وهجا بشعره أعداء الحق، ورد عليهم وأفحمهم، وذلك عندما وفَدَ وفد بني تميم على النبي -صلى الله عليه وسلم- وأشار جواد علي: "وفي شعر المخضرمين شعر قيل في الرسول، وفي حوادث الإسلام، وفي الرد على المشركين وتسفيه مقالتهم في دينهم ونيلهم من دين الله، وعلى رأس هؤلاء من ذكرت من شعراء يثرب حسان بن ثابت؛ شاعر الرسول الذي كان يستدعيه الرسول في المناسبات؛ ليجيب على شعر الشعراء الوافدين؛ كالذي كان من أمره مع شاعر وفد بني تميم الزبرقان بن بدر". [24] ولما دخل وفد بني تميم المسجد، نادوا رسول الله من وراء حجراته (أخرج إلينا يا محمد جئناك نفاخرك) وتأذى الرسول -صلى الله عليه وسلم- من صياحهم ونزل فيهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. [25] فأذن لهم الرسول -صلى الله عليه وسلم- فخطب خطيبهم، ولما فرغ، طلب الرسول -صلى الله عليه وسلم- من ثابت بن الحارث، فأفحم خطيبهم، ثم وقف شاعرهم الزبرقان بن بدر وأنشد قائلًا:

نَحْنُ ٱلْكِرَامُ فَلَا حَيٌّ يُعَادِلُنَا ... مِنَّا الْمُلُوكُ وَفِينَا يُقْسَمُ الرُّبُعُ

وَكَمْ قَسَرْنَا مِنَ الأَحْيَاءِ كُلِّهِمِ ... عِنْدَ النِّهَابِ وَفَضْلُ الْعِزِّ يُتَّبَعُ

ونَحْنُ نُطْعِمُ عِنْدَ القَحْطِ مَطْعَمَنا ... مِنَ الشِّواءِ إِذَا لَمْ يُؤْنَسِ الْقَزَعُ

ثُمَّ تَرَى النَّاسَ تَأتِينَا سَرَاتُهُمُ ... مِنْ كُلِّ أَرْضٍ هُوِيًّا ثُمَّ نَصْطَنِعُ

24 - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: جواد علي، دار العلم للملايين، بيروت، 1978م، ص/ 2380.

25 - سورة الحجرات آية/ 4-5.

فَنَنْحَرُ الْكُومَ عَبْطًا فِي أَرُمَّتِنَا ... لِلنَّازِلِينَ إذا ما أَنْزِلُوا شَبِعُوا
فَلا تَرَانَا إلى حَيٍّ نُفَاخِرُهُمْ ... إلَّا اسْتَقَادُوا وَكانُوا الرَّأْسَ يَقْتَطَعُ
إنَّ أَبَيْنَا وَلَمْ يَأْبَى لَنَا أَحَدٌ ... إنَا كَذّلِكَ عِنْدَ الْفَخْرِ نَرْتَفِعُ
فَمَنْ يُقَدِرُنَا فِي ذَاكَ يَعْرِفُنَا ... فَيَرْجِعُ الْقَوْمُ والأَخْبَارُ تُسْتَمَعُ [26]

وعدد الزبرقان مفاخرهم، وإذا تأملنا النص نجد أن مفردات الزبرقان ابن بدر تدور في فلك إطعام الطعام، وقدراتهم الحربية التي حاول أن يفخمها ويضخمها؛ ولكنها استعصت عليه، وحاول الشاعر أن يستنطق السؤدد والمكارم لكنها أحجمت عنه، وحقًا كما قال "الأخبار تُستَمَعُ" فقد أخبر عن قصر باعهم في مضمار الفخر خاصة في حضرة الملوك والسادة والأشراف؛ لأن "عادة التفاخر في مجالس الملوك وسادات القبائل وإنشاد الشعر في ذلك وردّ الشعراء بعضهم على بعض دفاعًا عن قومهم من العادات القديمة؛ التي بقيت في الإسلام كذلك". [27] وعندما فرغ قال الرسول –صلى الله عليه وسلم– قم يا حسان وأجب الرجل، فأنشد شاعر النبوة عينيته التي جاءت مضمخة بعبق التعاليم الإسلامية؛ التي أخرجت الناس من الظلمات إلى النور، ووضحت النهج الذي ارتضاه الله تعالى لعباده، ورسمت كل ملامح البطولة والشجاعة والفروسية التي اتخذها الجندي المسلم المجاهد –في سبيل الله– منهجًا، فالإسلام قد هذب سلوكياتهم، وكانت مشروعية الجهاد في سبيل الله، وما يحمله من مضامين التضحية والإيثار تحت ظل التعاليم الإسلامية ابتغاء مرضاة الله تعالى:

إنَّ الذُّوَائِبَ مِنْ فِهْرٍ وَإِخْوَتِهِمْ ... قَدْ بَيّنُوا سُنَّةً لِلنَّاسِ تُتَّبَعُ

26 – السيرة النبوية: ابن هشام، تحقيق، همام عبد الرحيم ومحمد عبد الله، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة الأولى، 1988م، ج4/ 275–280، شرح ديوان حسان: ص/ 245–246.

27 - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: جواد علي، ص/ 2381. القذع: الغيم، (وقوله: إذا لم يؤنس القذع أي: إذا لم ير المطر، وذلك آية القحط) عبطًا: أي ننحرها من غير علة. الأرومة: الأصل. استقادوا: أي سلموا لنا.

يَرْضَى بِهَا كلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ تَقْوَى الإِلَهِ وَبالأَمْرِ الَّذِي شَرَعُوا[28]

القصيدة في مجملها تلخص الصدام الذي شهدته الساحة يومئذ بين جنود الله وجنود الكفر، فهو صراع عقدي؛ إذاً لابد من خلق ما يناسبه من الوسائل الدفاعية والهجومية، وعدم تغافل أهمية الدعاية في هذه المواقف، وكان الموقف في تلك اللحظة يحتم على حسان أن يقوم بعدد من المهام؛ أي أن يدافع عن عقيدته ونبيه الكريم ويرفع من شأن المسلمين، وفي الجانب المقابل كان عليه أن يهاجم أعداء الكفر ويزعزع ثقتهم بأنفسهم، ويغرس بدواخلهم بذور الاحباط، عليه لابد أن يكون الناطق الرسمي باسم الرسول –صلى الله عليه وسلم– في تلك اللحظة في قمة الاستعداد النفسي أو المعنوي والاستعداد المادي، يعني أن ينظم قصيدة عصماء تخرس ألسنة الكفر وتفحمهم.

وبفضل الله تعالى على نبيه وأمته المسلمة أن شاعر النبوة كان قد أعد لهذه اللحظة ما يناسبها؛ لأنه تهيأ بعون الله تعالى نفسيًا وماديًا، وتسلح بعقيدته، وسنة نبيه الكريم؛ لذا نجد أن الشاعر قد تجاوز حدود المدح الذي نحسه في ظاهر النص أو في القشرة الخارجية للقصيدة؛ لأن هناك من يقف عند حدود الدراسة السطحية، فالقصيدة مشروع دعوي ضخم، والدليل على ذلك عندما فرغ حسان من قوله، قال الأقرع بن حابس: إن هذا الرجل لمؤتى له (أي موفق). وبتوفيق من الله تعالى وعونه كان أن أسلم كل وفد بني تميم؛ مما يدل على الأثر الذي تركته عينية حسان في وفد بنى تميم، فقد جاءت كفلق الصبح الذي أزاح دياجير الظلام الدامس؛ لما تمتعت به من أفكار متناسقة ومتجانسة ومفردات قوية شريفة قادت إلى معانٍ سامية رفيعة، لم يغب عنها الأثر الطيب الذي تركه كلام الله تعالى في لغة الشاعر ومعانيه وأسلوبه فضلًا عن ثقافته، وكانت العاطفة الصادقة التي تعكس صدق التوجه لله تعالى هي المطية الذلول التي بلغته مراده.

28 – ديوان حسان: ص/ 248.

كذلك كانت هذه العينية مشروعًا نهضويًا متعدد الأغراض والأهداف؛ وذلك بشحذ الهمم واستنهاضها للجهاد في سبيل الله، فضلًا عن ذلك فقد استشرفت القصيدة آفاق المستقبل لبناء مشروع حضاري؛ يُعنى بإنسانية الفرد وتقدمه ورفاهيته بما يحققه له الإسلام من أمن واستقرار.

4- الانفتاح على ثقافة الآخر

نهل حسان بن ثابت من ثقافات الأمم والشعوب الأخرى، ولم يكن متقوقعًا داخل بيئته المحلية الصغيرة، بل اطلع على ما جادت به الحضارات الأخرى؛ وذلك من خلال رحلاته التي امتدت إلى خارج نطاق بلاد الحجاز أو جزيرة العرب، وذاع صيته في الآفاق، واكتسب خبرات ومهارات من رحلاته التي امتدت إلى بلاط الغساسنة؛ وهم ملوك الشام من قبل الروم، كما تردد على بلاط المناذرة؛ وهم حكام العراق من قبل الفرس، [29] ولاميته في مدح الغساسنة تعد من روائع شعره في جاهليته التي يقول فيها:

بِيضُ الْوُجُوهِ كَرِيمَةٌ أَحْسَابُهُمْ شُمُّ الأُنُوفِ مِنَ الطِّرَازِ الأَوَّلِ[30]

وقوله كذلك:

أَوْلاَدُ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمِ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الكَرِيمِ الْمُفْضِلِ
يُغْشَوْنَ حَتَّى مَا تَهِرُّ كِلاَبُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ
فَلَبِثْتُ أَزْمَانًا طِوَالًا فِيهِمِ ثُمَّ أَدَّكَرْتُ كَأَنَّنِي لَمْ أَفْعَلِ [31]

كما صرح برحلاته وملاقاته للملوك في لاميته التي يقول فيها:

29 – تاريخ الأدب العربي: عمر فروخ، ص/ 325.

30 – شرح ديوان حسان: ص/ 310.

31 – المرجع السابق: ص/ 309. وجفنة هو والد ملوك آل غسان ملوك الشام.

وَتَــزُورُ أَبْــوَابَ الْمُلــوكِ رِكَابُنَــا وَمَـتَى نُحَكَّـمْ فِي الْبَرِيـةِ نَعْـدِلِ [32]

وهكذا حقق حسان من مدحه لملوك الغساسنة والمناذرة ما كان يصبو إليه من كسب مادي تمثل في عطايا الملوك وهباتهم، فضلًا عن الشهرة والمكانة الرفيعة؛ التي جعلته يحتل مكانة سامية بين شعراء عصره، كذلك استثمر حسان هذه الرحلات في تنمية مهاراته وقدراته؛ ونمت موهبته الشعرية وأثرت قريحته؛ لأنه اطلع على ثقافات جديدة، وامتزج بحضارات مختلفة، فضلًا عن عملية التأثير والتأثر والتفاعل مع الآخر تحت منظومة بيئته، وما تفرزه من عادات وتقاليد ومع محاول قولبتها بما يتناسب مع بيئة الحجاز؛ لذا جاء شعره يحمل سمات الحضارة، وأبعادها الفكرية والاجتماعية. فضلًا عن هذا فشاعر النبوة كان مدني النشأة؛ فقد ولد بالمدينة ونشأ وترعرع فيها، أي بذور الحضارة قد بُذرت فيه منذ نشأته الأولى.

ووظف حسان كل هذه الإيجابيات في شعره بعد أن شرح الله تعالى صدره للإسلام؛ إذ جرد لسانه من غمده للدفاع عن حياض الإسلام. كذلك لم يكن المجتمع المسلم مجتمعًا متقوقعًا أومنغلقًا على نفسه، لكنه كان من المجتمعات الإيجابية التي تفاعلت مع الحضارات والثقافات الأخرى بوعي وإدراك، وكثيرًا ما نهل من معطيات الحضارات الأخرى الإيجابية، وفي السيرة النبوية العطرة العديد من الإشارات التي تدل على التفاعل الذي تم بين الإسلام والثقافات الأخرى؛ منها على سبيل المثال لا الحصر أن النبي -صلى الله عليه وسلم- يوم غزوة الخندق: "أشار سلمان الفارسي بضرب الخندق على المدينة، وكانت خطة حربية متبعة عند الفرس، قال سلمان: يا رسول الله إنا كنا بأرض فارس إذا تخوفنا الخيل خندقنا علينا، وقبل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رأيه فأمر بحفر الخندق". [33] وهكذا

32 - المرجع السابق: ص/ 312.

33 - السيرة النبوية: أبو الحسن علي الحسني الندوي، دار ابن كثير، ط12، 2001م، ص/ 248.

كان الخندق من المؤشرات التي تدل على انفتاح الأمة المسلمة على الحضارات الأخرى والاستفادة من إيجابياتها، وكان الخندق في هذه الغزوة التي سميت باسمه من بين الآليات التي حققت النصر مع غيرها من آليات الحرب ومحاوره.

ومجمل القول إن المسلمين لم يتقوقعوا داخل جزيرتهم؛ لكنهم تفاعلوا مع الآخر، ونهلوا من ثقافته بوعي ومن منطلق القيم الإسلامية، استفادوا من إيجابيات الحضارات الأخرى بعد أن تم تهذيبها وتنقيحها بما يتلاءم مع تعاليم الإسلام.

5- اكتساب العلوم والمعارف

لابد من صقل أي موهبة من المواهب بالعلوم والمعارف؛ حتى تؤتي أكلها بإذن ربها، ولم يكتف حسان بما حباه الله تعالى به من ملكات أدبية وقدرات فنية؛ لكنه عمد إلى النهل من العلوم والمعارف التي كانت متاحة وقتئذ، لذا عمد إلى معرفة أنساب القوم وأحسابهم، وعندما أراد أن يهجو كفار قريش قال الرسول-صلى الله عليه وسلم-: "كيف تهجوهم وأنا منهم، وكيف تهجو أبا سفيان وهو ابن عمي، وكان أبوبكر الصديق -رضي الله عنه- من علماء الأنساب، وله باع طويل في هذا المضمار، لذا أرسل الرسول -صلى الله عليه وسلم- حسانًا إليه ليعلمه من هذا العلم الغزير: "اذهب إلى أبي بكر فليحدثك حديث القوم وأيامهم وأحسابهم؛ ثم أهجهم وجبريل معك". (34)

لَقَدْ عَلِمَ الأَقْوَامُ أَنَّ ابْنَ هَاشِمٍ هُوَ الغُصْنُ ذُو الأَفْنَانِ لا الْوَاحِدُ الوَغْدُ

وَمَالَكَ فِيهِمْ مَحْتَدٌ يَعْرِفونَهُ فَدُونَكَ فَأْلْصَقْ مِثْلَ مَا لَصِقَ الْقُرْدُ

34 -كتاب الأغاني: أبو فرج الأصفهاني، ج4/ 137.

وَإِنَّ سَنَامَ الْمَجْـدِ مِـنْ آلِ هَاشِـمٍ بَنُـو بِنْـتِ مَخْـزُومٍ وَوَالِـدُكَ الْعَبـدُ
وَمـاَ وَلَـدَتْ أَفْنـاءُ زُهْـرَةَ مِـنْكُمُ كَرِيمًـا وَلَمْ يَقْـرَبَ عَجَـائِزَكَ الْمَجْـدُ
وَلَسْـتَ كَعَبَّـاسٍ وَلَا كَـابْنِ أُمِّـه وَلكِـنْ هَجِـينٌ لَـيْسَ يُـورىَ لَـهُ زَنْـدُ
وَأَنْـتَ زَنِـيمٌ نِـيطَ فِي آلِ هَاشِـمٍ كَمَـا نِـيطَ خَلْـفَ الرَّاكِـبِ الْقَـدَحُ الْفَـرْدُ
وَإِنَّ امْـرَأً كانَـتْ سُمَيَّـةُ أُمَّـهُ وَسَمْرَاءُ مَغْلُوبٌ إِذَا بُلِغَ الْجُهدُ [35]

وهكذا تتلمذ حسان على يد أبي بكر الصديق، وعرف منه أخبار القوم وأنسابهم؛ أي صقل حسان موهبته وقدراته بالعلوم والمعارف. ولما شاع شعر حسان وبلغ مسامع قريش، أدركوا أن عالم الأنساب الذي يقف خلف هذا الشعر كان أبو بكر الصديق؛ لذا قالوا: "لقد قال أبوبكر الشعر بعدنا، أو هذا شعر لم يغب عنه ابن أبي قحافة". [36]

وكل هذه المحاور سمت بذوق شاعر النبوة وبحسه الأدبي؛ في ظل الموهبة الشعرية والملكات الإبداعية والقدرات الفردية.

35 – شرح ديوان حسان: ص/ 160.

36 – كتاب الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني، ج4/ 137.

المبحث الثاني

الذخيرة

التي نصر بها حسان الإسلام

لم يكن حسان بن ثابت مجرد شاعر امتلأ جوفه بالقوافي الطيبة؛ التي سخرها للذب عن حياض الإسلام بمدحه للمصطفى -صلى الله عليه وسلم-، لكن عمد حسان إلى دراسة الأسس والضوابط؛ التي تعينه في حربه الضروس ضد أعداء الله ورسوله.

لقد توافرت في شاعر النبوة الشروط التي مدح الله تعالى بها الشعراء الذين يجاهدون بألسنتهم في سبيل رفع راية الإسلام ونصرة نبيه الكريم، قال تعالى: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾. [37] وفسر ابن كثير هذه الآية بقوله: "﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ هذا الاستثناء يدخل فيه كل شاعر مؤمن؛ ولو كان سابقًا مشركًا آمن وتاب وأناب ورجع وأقلع وعمل صالحًا وذكر الله كثيرًا، فيما تقدم من الكلام السيىء؛ فإن الحسنات يذهبن السيئات وامتدح الإسلام وأهله، وفي المقابل كان يذم الكفار، وقوله: ﴿ وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ﴾ قال ابن عباس يردون على الكفار الذين كانوا يهجون به المؤمنين". [38]

عليه فقد استخدم حسان العديد من أنواع القذائف النارية الحارقة؛ التي أحرقت جوف الكفر، وفرقت شملهم وشتتت جمعهم، وكان حسان يوجه سهامه وقذائفه إلى رؤوس الكفر لا للعامة من الكفار أو المستضعفين منهم؛ لأنه بحصده

37 - سورة الشعراء آية/ 224-227.

38 - تيسير العلي القدير: ابن كثير، ج3/ 354.

للرؤوس تتقطع الأذناب، وآلة حسان القتالية كانت الكلمة الموزونة المقفاة، وشكَّلها ولونها بحسب مقتضى الحال لتصيب الهدف. وقد يتبادر إلى البال أن الهجاء قد يكون من أنسب الأوعية؛ التي تستطيع أن تحمل مراد الشاعر أو مقصوده، لكن أرى أن الهجاء وحده قد لا يصيب الهدف، عليه لابد من الدراسة الشمولية للنص، وما يحققه من إضافات للعلوم الأخرى وما يكتسبه من العلوم الأخرى، وأرى أن الأوعية التي تصلح للرد على كل من يحاول النيل من حضرة المصطفى –صلى الله عليه وسلم– في أي زمان وأي مكان تتمثل في المحاور الآتية:

1- **إبراز سماحة الإسلام** :

من الآليات التي تهزم الكفار ماديًا ومعنويًا؛ هي إبراز كل محاسن الإسلام وتعاليمه السامية، وما جاء به من قيم روحية حررت الإنسان من عبادة الشرك وجعلته عبدًا لله تعالى، وفي هذه العبودية قمة الحرية للفرد، وإبراز القيم الإنسانية التي سمت وارتقت بإنسانية الفرد، كذلك ما في القرآن الكريم من قيم عقلية ومخاطبته للعقل؛ بل جعل التفكر والتأمل والتدبر في ملكوت الله تعالى من صميم العبادة، فضلًا عن ذلك القيم الاجتماعية؛ إذ تحول المجتمع القبلي بنعمة من ربه وفضله إلى الأمة وما يدثرها من تآلف وتعاضد بين أفرادها، كل هذه المعاني وقعت على أعداء الله ورسوله، وعلى كل من أبى واستكبر وقوع الصاعقة.

وتتجلى سماحة الإسلام في الوفود التي كانت تفد زرافات ووحدانا على المصطفى –صلى الله عليه وسلم– تبايعه على الإيمان والسمع والطاعة، بعد أن نبذوا عقيدتهم القديمة وتركوا دين الآباء والأجداد، وكان هذا الجانب من أهم المحاور التي تغيظ أعداء الكفر؛ أي عندما يتحول أيُّ من كان منهم من دين الكفر إلى الدين الجديد، فطن حسان بن ثابت إلى ما يغيظهم، وذهب يتغنى بعظمة الخالق وتمسكه بالدين الجديد:

وَأَنْـتَ إلـهَ الْخَلْـقِ رَبِّي وَخَـالِقِي بذَلِكَ مَا عُمِّرْتُ فِي النَّاسِ أَشْهَدُ
تَعَالَيْتَ رَبَّ النَّاسِ عَنْ قَوْلِ مِنْ دَعَا سِـوَاكَ إلَهًـا أَنْـتَ أَعْلَـى وأَمْجَـدُ
لَـكَ الْخَلْـقُ والنَّعْمـاءُ والأَمْـرُ كُلُّـهُ فـإِيَّاكَ نَسْتَهْدِي وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ (39)

والمتأمـل لهـذا المحـور يجـد أن شـاعر النبـوة كأنـه عـالم نفسـاني درس طبيعـة النفس البشرية، ووقف على نقاط الضعف فيها، وعلى الرغم من أن كفار قريش كانوا يضطهدون طبقة العبيد والموالي ولا يعبأون بهم؛ لكن إذ أسلم منهم أي فرد يعذبونه، كما كان الحال مع أسرة عمار بن ياسر وغيرهم كثر. ومن سماحة الإسلام كذلك قوله:

هَـدَاهُمْ بِـهِ بَعْـدَ الضَّـلالةِ رَبُّهُـمْ وَأَرْشَدَهُمْ مَنْ يَتْبَعِ الْحَقَّ يُرْشَـدِ
وهَلْ يَسْتَوِي ضُلاَّلُ قَوْمٍ تَسَفَّهُوا عَمَّـى وَهُـدَاةٌ يَهْتَـدُونَ بِمُهْتَـدِ
أَعْـنِي الرَّسُـولَ فَـإِنَّ اللهَ فَضَّـلَهُ عَلـى الْبَرِيَّـةِ بِالتَّقْـوَى وَبالجُـودِ
مَاضٍ عَلَى الْهَوْلِ رَكَّابٌ لِمَا قَطَعُوا إِذَا الكُمَـاةُ تَحَـامَوْا فِي الصَّـنَادِيدِ
وَافٍ ومَاضٍ شِهَابٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ بَدْرٌ أَنَارَ عَلى كُلِّ الأَمَاجِيدِ (40)

2 ـ مدح الرسول صلى الله عليه وسلم

كذلك من الأوعية التي كانت تغض طرف الكفار مدح الرسول –صلى الله عليه وسلم– وتصريفه لأمور أمته المسلمة بالعدل والمساواة، ولم يكن المصطفى –صلى الله عليه وسلم– نبيًا فقط؛ بل كان رسولًا ومعلمًا وقائدًا وراعيًا وحريصًا على

39 – ديوان حسان: ص/ 55.

40 – المصدر السابق: ص/ 55–59. الكماة: جمع كمي؛ وهو الشجاع أو لابس السلاح؛ لأنه يكمي نفسه؛ أي يسترها بالدرع والبيضة. والصناديد: الشجعان. الدواهي: جماعة العسكر. الأماجيد: السادة الأشراف.

مصلحة المسلمين، وإلى هذه المعاني أشار ابن كثير: "كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– من أكمل الناس تربية ونشأة،لم يزل معروفًا بالصدق، والبر، ومكارم الأخلاق، والعدل، وترك الفواحش، والظلم وكل وصف مذموم، مشهودًا له بذلك عند جميع من يعرفه قبل النبوة، ومن آمن به ومن كفر بعد النبوة، ولا يعرف له شيء يعاب به؛ لا في أقواله، ولا في أفعاله، ولا في أخلاقه، ولا جرت عليه كذبة قط، ولا ظلم ولا فاحشة". (41)

لقد مدح الله تعالى نبيه وأثنى عليه في أعظم كتاب؛ بل جعل مدحه قرآنًا يتلى ويتعبد به إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. (42) وقرن الله تعالى اسم النبي في الشهادة باسمه، وإلى هذا المعنى أشار حسان في قوله:

وضَمَّ الإِلهُ اسْمُ النَّبِيِّ إلَى اسْمِهِ ... إذَا قَالَ فِي الخَمْسِ المُؤذَنُ أَشْهَدُ

وشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ ... فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ (43)

لعله من نافلة القول الإشارة إلى أن كفار قريش كانوا يدركون تمام الإدراك جملة الفضائل والشمائل الحميدة؛ التي كان يتمتع بها سيد الخلق أجمعين؛ لكن عنادًا واستكبارًا منهم رفضوا أن يؤمنوا برسالته، وحتى في أيام جاهليتهم كانوا يسمونه الصادق، (44) وكان هذا يؤلمهم أشد الألم، ويؤذيهم أشد الأذى؛ لذا كلما أشاد مادح بسيرة الرسول –صلى الله عليه وسلم–، وأشار إلى صفاته وشمائله، بلغ

41 – البداية والنهاية: ابن كثير، ج8/ 550.

42 – سورة القلم آية/ 4.

43 – ديوان حسان: ص/ 54.

44 – اجتمعت قريش لبنيان الكعبة؛ فلما بلغ البنيان الركن، اختصموا في الحجر الأسود، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، وكل قبيلة تريد أن يكون لها الشرف، حتى آل الأمر إلى الحرب...، ومكثت قريش على ذلك أيامًا، ثم اتفقوا على أن يكون أول من يدخل من باب المسجد يقضي بينهم، فكان أول من دخل عليهم الرسول –صلى الله عليه وسلم–؛ فلما رأوه قالوا: هذا الأمين رضينا هذا محمد (ينظر السيرة النبوية: الندوي، ص/ 111).

بهم الغيظ مبلغًا عظيمًا:

تَاللهِ مَـا حَمَلَـتْ أُنْثَـى وَلَا وَضَـعَتْ ... مِثْـلَ الرَّسُـولِ نَـبِيّ الأُمَّـةِ الْهَـادِي
ولا بَـــرَا اللهِ خَلْقًـــا مِـــنْ بَرِيَّتِـــهِ ... أَوْفَى بِذِمَّـــةِ جَـــارٍ أَوْ بِمِيعَـــــادِ
مِـنَ الَّـذِي كَـانَ فِينـا يُسْتَضَـاءُ بِـهِ ... مُبَارَكَ الأَمْرِ ذَا عَدْلٍ وَإِرْشَادِ [45]

3 ـ مدح الصحابة الكرام

أمـا دور الصـحابة الكـرام والتفـافهم حـول نبـيهم ومـا يقدمونـه مـن إيثـار وتضـحيات مـن أجـل نصـرة ديـن الله وإعـلاء كلمـة الحـق، فقـد كـان هـذا الموقـف من الصحابة الكرام يؤذي كفار قريش؛ لأن الرسول –صلى الله عليه وسلم– وجد الدعم والعـون مـن صـحابته، أشـاد حسـان بـدور الصـحابة الكـرام، في المعـارك والغـزوات، وتجلى هذا الدور العظيم في غزوة بدر الكبرى:

وخَـبِّرْ بِالَّـذِي لَا عَيْـبَ فِيـهِ ... بِصِـدْقٍ غَـيْرِ إِخْبَـارِ الْكَـذُوبِ
بِمَـا صَـنَعَ الْمَلِيـكُ غَـدَاةَ بَـدْرٍ ... لَنَـا فِي الْمشْـرِكِينَ مِـنْ النَّصِـيبِ
غَـدَاةَ كَـأَنَّ جَمْعَهُـمُ حِـرَاءُ ... بَـدَتْ أَرْكَانُـهُ جُـنْحَ الْغُيُـوبِ
فَوَافَيْنَـاهُمُ مِنَّـا بِجَمْـعٍ ... كَأُسْـدِ الْغَـابِ مُـرْدَانٍ وشِـيبِ
أَمَـامَ مُحَمَّـدٍ قَـدْ آزَرُوهُ ... علَـى الأَعْـدَاءِ فِي لَفْـحِ الْحُـرُوبِ
بِأَيْـدِيهِمْ صَـوَارِمُ مُرْهَفَـاتٌ ... وَكُـلُّ مُجَـرَّبٍ خَـاظِي الْكُعُـوبِ
بَنُـوا الأَوْسِ الغَطَـارِفُ آزَرَتْهَـا ... بَنُو النَّجَّارِ فِي الدِّينِ الصَلِيبِ [46]

لقـد أرخ حسـان السـيرة النبويـة العطـرة بمـداد شـعره؛ إذ خلـد في هـذه البائيـة

45 – ديوان حسان: ص/ 66.

46 – شرح ديوان حسان: ص/ 15–16. قوله صوارم مرهفات: أي سيوف قواطع رقت حواشيها. كل مجرب: أي كل رمح تمرس الحروب. خاظي الكعوب: أي كعوبه غليظة صلبة. الغطارف: جمع غطريف وهو السيد. والدين الصليب: أي المتين.

مجريات أحداث غزوة بدر في أعظم سجل تاريخي، فالشاعر دوره مزدوج؛ فهو الأديب والمؤرخ؛ لأعظم سجل حربي قاد زمامه ووضع خططه العسكرية المصطفى وهو أعظم قائد حربي شهدته البشرية -صلى الله عليه وسلم-، كذلك أرخ للدور العظيم الذي قام به الجندي المسلم؛ الذي تتلمذ وتخرج في مدرسة النبوية الحربية؛ التي استمدت علومها ومعارفها من أعظم كتاب أنزله الله تعالى على نبيه الكريم، وكانت رسالة هذه المدرسة سامية؛ إذ لم تكن الحرب من أجل القتل أو جمع الغنائم؛ لكن من أجل تحرير الإنسان من الشرك وكل ضروب العبودية إلا لله تعالى؛ التي تعنى تمام الحرية.

وعنصرا الزمان والمكان، من أهم الركائز الأساسية التي تعتمدها الطريقة المنهجية العلمية؛ حتى تحقق الغاية المرجوة من النص أي فهمه كما ينبغي ويجب؛ لأنهما من أهم المعينات التي تعين على فهم النص وتسير دولاب حركته.

كما أفسح حسان في هذا السجل الضخم؛ الذي ألفه مساحة طيبة أبرز فيها مخازي الكفر. وعندما يشيد حسان بالجندي المسلم ويرفع من قدره فالإشارة واضحة وصريحة لجنود الكفر، وكأنه يعقد مقارنة بين الفريقين؛ والبون شاسع والفرق واضح بين من يقاتل من أجل ترسيخ قيم الحق والفضيلة، وبين من يقاتل من أجل تحقيق بعض الأطماع الدنيوية الرخيصة؛ حتى النتيجة كانت محسومة لمن كان في جانب الله وباع نفسه رخيصة من أجل إعلاء كلمته؛ لذا فاخر حسان بصنع المليك غداة بدر.

كذلك عمد حسان إلى ذكر فضائل الصحابة ومناقبهم، ويكفيهم شرفًا أنهم أصحاب الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وحسبهم بهذه الصحبة من كل فخر وشرف صحبتهم للرسول؛ أي كانوا في غنى عن أي مدح أو إشادة؛ لكن أمعن حسان في مدحهم، بل إبراز مناقبهم كيدًا وغيظًا في الجبهة المعادية؛ لأنهم الدرع المتين؛

الذي يذود عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- ويفديه بالغالي والنفيس، وكانوا دائمًا وأبدًا يبدون مدى استعدادهم وجاهزيتهم للدفاع عن محارم الله تعالى ومن ذلك قوله:

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُوا عَدُوَّهُمْ ... أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِم نَفَعُوا
سَجِيَّةٌ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحْدَثَةٍ ... إِنَّ الْخَلاَئِقَ فَأَعْلَمْ شَرُّهَا الْبِدَعُ
لاَ يَرْقَعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكُفُّهُمُ ... عِنْدَ الدِّفَاعِ وَلاَ يُوهُونَ مَا رَقَعُوا
إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَّاقُونَ بَعْدَهُمُ ... فَكُلُّ سَبْقٍ لأَدْنَى سَبْقِهِمْ تَبَعُ
أعِفَّةٌ ذُكِرتْ فِي الْوَحْيِ عِفَّتُهُمْ ... لَا يَطْبَعُونَ وَلاَ يُرْدِيهُمُ الطَّمَعُ
خَذْ مِنْهُمُ مَا أَتَى عَفْوًا إِذَا غَضِبُوا ... وَلَا يَكُنْ هَمُّكَ الأَمْرَ الَّذِي مَنَعُوا
فَإِنَّ فِي حَرْبِهِمْ فَاتْرُكْ عَدَاوَتَهُمْ ... شَرًّا يُخَاضُ عَلَيْهِ الصَّابُ والسَّلَعُ
أَكْرِمْ بِقَوْمٍ رَسُوَّلُ اللهِ شِيعَتُهُمْ ... إِذَا تَفَرَّقَتِ الأَهْوَاءُ والشِّيَعُ [47]

4 – التهديد بتحقيق الانتصار

والتهديد بتحقيق الانتصار والتغلب على العدو من الأساليب الدعائية؛ التي تلعب دورًا كبيرًا وفعالًا في تحقيق النصر، وغالبًا ما تكون قبل الحرب الفعلية؛ لأنها تزعزع ثقة الأعداء بأنفسهم؛ مما يؤدي إلى إضعاف الجبهة الداخلية للأعداء، وقد فطن حسان بن ثابت إلى هذا الجانب وأهميته؛ لذا وجه رسالة تهديد ووعيد إلى كفار قريش قبيل فتح مكة وخاطبهم قائلًا:

عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا ... تُثِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ
يُبَارِينَ الأَعِنَّةَ مُصْعِدَاتٍ ... عَلَى أَكْتَافِهَا الأَسَلُ الظِّمَاءُ

47 – ديوان حسان: ص/ 151-153.الصاب والسلع: ضربان من الشجر طعمهما مر.

تَظَـــلُّ جِيَـــادُنَا مُتَمَطِّـــرَاتٍ تُلَطِّمُهُـــنَّ بِالخُمُـــرِ النِّسَـــاءُ
فَإِمَّـــا تُعْرِضُـــوا عَنَّـــا اعْتَمَـــرنَا وَكَـانَ الفَـتْحُ وَانْكَشَـفَ الغِطَـاءُ
وإلا فاصْـــبِرُوا لِجِـــلَادِ يَـــوْمٍ يُعِـزُّ اللهُ فِيـهِ مَـنْ يَشَـاءُ [48]

وعمد حسان إلى أسلوب التخويف، وتثبيط الهمم، فضلًا عن التلويح؛ بل الإشارة صراحة إلى قوة جيش المسلمين؛ ثم تصوير نتائج المعركة التي حسمها لصالح المسلمين، وهذا الأسلوب من أهم الأساليب المستخدمة في الحرب النفسية.

5- الحرب النفسية وأثرها في الكفار

عرف صلاح نصر الحرب النفسية بقوله: "استخدام أي وسيلة بقصد التأثير في الروح المعنوية، وفي سلوك أي جماعة لغرض عسكري معين...، وهي حرب الأفكار والحرب الإيديولوجية أو العقائدية، وحرب الأعصاب، والحرب السياسية، وحرب الدعاية، وحرب الكلمات". [49] وفي الإصطلاح العسكري الحرب النفسية هي: "تعبير مرادف لتعابير الدعاية وحرب الإعلام، والحرب الباردة والحرب العقيدية والحرب السياسية". [50]

وتتباين الأساليب المستخدمة في الحرب النفسية وتعدد، كذلك تستخدم هذه الأساليب حسب مقتضى الحال: "والحقيقة أن أسلوب الشتم والتلويث أسلوب معروف في الحرب النفسية منذ أقدم العصور، وقد استخدمت قصائد المدح وأشعار الهجاء كأساليب للحرب النفسية في المجتمع العربي وغيره من المجتمعات الأخرى القديمة". [51]

48 – المصدر السابق: ص/ 18.

49 – الحرب النفسية: صلاح نصر، الطبعة الثانية، د. ت.، ص/ 92-98.

50 – الإسلام والنصر: محمود خطاب سيث، مكتبة النهضة، بغداد، د. ت.، ص/ 61.

51 – الإعلام والاتصال بالجماهير: محمد كمال إمام، ص/ 257.

ومن أساليب الحرب النفسية التي استخدمها حسان كانت الكلمة الموزونة المقفاة، وعمد حسان إلى الهجاء، وبه جرد كفار قريش من كل المكارم، وباعد بينهم وبين السؤدد. والهجاء لغة: هَجاه يَهْجُو هَجْواَ، وتَهْجاء: شتمه أي شتمه بالشِّعر، وهو خلاف المَدْح. قال الليث: هو الوَقِيعةُ في الأَشْعار". [52] أما الهجاء في الاصطلاح غرض من أغراض الشعر، يتناول فيه الشاعر بالذم والتشهير عيوب خصمه المعنوية والجسمية؛ وهو نقيض المدح؛ لأن المدح يذكر الفضائل، والهجاء يذكر الرذائل". [53]

والهجاء الذي انتهجه حسان بن ثابت كان من أهم الوسائل الهجومية ضد كفار قريش ويعني إلحاق كل صفة قبيحة ذميمة بالكفار؛ حتى يحسوا بالخجل، وفي الوقت ذاته كان وسيلة دفاعية ووقائية للمسلمين؛ لأن عيوب الأعداء تشكل محورًا هجوميًا ودفاعيًا. وتدور محاور هجاء حسان لكفار قريش في فلك النقائص الآتية:

أ – الطعن في الأحساب والأنساب

وكان من بين السهام التي سددها حسان نحو الكفار الطعن في أحسابهم وأنسابهم، وكان حسان يمتلك كل أسرار هذا اللون من الشعر؛ فضلًا عن ذلك فقد تتلمذ على يد أبي بكر الصديق الذي درسه وعلمه أسرار هذا المضمار، وبذا نال الدربة الكافية في استخدام آليات الهجاء وأساليبه؛ وبما أن الرسول –صلى الله عليه وسلم– تربطه بالقوم صلة رحم ودم؛ فقد انتهج حسان نهجًا يمكنه من هجاء كفار قريش دون أن يمس الرسول –صلى الله عليه وسلم–، روت السيدة عائشة –رضي الله عنها– قالت: "استأذن حسان بن ثابت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في هجاء المشركين، فقال رسول الله: فكيف بنسبي؟ فقال حسان: لأسلنك منهم كما تسل

52 – لسان العرب: ابن منظور، مادة هجا.

53 – الأدب الجاهلي: غازي طليمات وعرفان الأشقر، مكتبة الإيمان، دبي، الطبعة الأولى، 1992م، ص/ 179.

الشعرة من العجين". [54] وبدأ يصب جام غضبه على أعداء الله ورسوله ويمزقهم بلسانه ويشكك في صراحة نسبهم العربي القُح، كما باعد بينهم وبين انتمائهم إلى قبيلة قريش سيدة القبائل العربية؛ التي فضَّلها الله تعالى على سائر القبائل. وكان ذلك أشد وطأة عليهم؛ لأن العربي كان يهون عليه كل شيء إلا إن يعير في حسبه أو نسبه، [55] ومن هجائه لأبي سفيان قوله:

لَقَـدْ عَلِـمَ الأَقْـوَامُ أَنَّ ابْـنَ هَاشِـمٍ ... هُـوَ الْغُصْـنُ ذُو الأَفْنَـانِ لا الْوَاحِـدُ الْوَغْـدُ

ومَالَـكَ فِـيهِمْ مَحْتِـدٌ يَعْرِفُونَـهُ ... فَدُونَكَ فَالْصقْ مِثْلَ مَا لَصِقَ الْقُرْدُ

وَإِنَّ سَـنَامَ المَجْـدِ مِـنْ آلِ هَاشِـمٍ ... بَنُـو بِنْـتِ مَخْـزُومٍ وَوالِـدُكَ الْعَبْـدُ

وَمَـا وَلَـدَتْ أَفْنَـاءُ زُهْـرَةَ مِـنْكُمُ ... كَرِيمًا ولَمْ يَقْـرَبْ عَجَـائِزَكَ الْمَجْـدُ

وَلَسْـتَ كَعَبَّـاسٍ وَلَا كَـابْنِ أُمِّـه ... ولَكِنْ هَجِينٌ لَيْسَ يُورَى لَهُ زَنْدُ [56]

وذهب ابن رشيق إلى أن: "أجود ما في الهجاء أن يسلب الإنسان الفضائل النفسية، وما تركب من بعضها مع بعض، فأما ما كان من الخلقة الجسمية من المعايب، فالهجاء به دون ما تقدم وقدامة لا يراه هجوًا ألبتة، وكذلك ما جاء من قبل الآباء والأمهات من النقص والفساد لا يراه عيبًا، ولا يعد الهجو به صوابًا". [57] سدد حسان سهام هجائه لبني سهم بن عمرو:

54 – صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر، حديث رقم 6150.

55 – شرح ديوان حسان: ص/ 41-42.

56 – المرجع السابق: ص/ 99. وقوله الغصن ذوي الأفنان كناية عن النبي –صلى الله عليه وسلم–. الوغد: الضعيف العقل الأحمق. محتد: كريم الأصل. الملصق: المشكوك في نسبه. القرد: جمع قراد؛ حشرة تمتص دم الإبل وهي كالقمل للإنسان. سنام المجد: أعلاه. بنت مخزوم: هي فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم. زهرة: حي من قريش. العجائز: كناية عن الأمهات. عباس وابن أمك؛ أي العباس وضرار ابنا عبد المطلب. والهجين: الذي أبوه عربي وأمه غير محصنة. وقوله: ليس يورى له زند كناية عن البخل.

57 – العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: أبو الحسن بن علي بن رشيق القيرواني، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، الطبعة الرابعة، 1972م، ص/ 329.

واللهِ مَـا فِي قُـرَيْشٍ كُلِّهـا نَفَـرٌ أَكْثَـرُ شَـيْخًا جَبَـانًا فَاحِشًـا غُمُـرَا
هُـذْرٌ مَشَـائِيمُ مَحْـرُومٌ ثَـوِيُّهُمُ إذا تَـرَوَّحَ مِـنْهُمْ زُوِّدَ الْقَمَـرَا
يا آلَ سَهْمٍ فَإِنِّي قَدْ نَصَحْتُ لَكُمْ لا أَبْعَـثَنَّ علَـى الأَحْيَـاءِ مَـنْ قُـبِرَا
ألا تَـرَوْنَ بَأَنِّي قَـدْ ظُلِمْـتُ إذَا كـانَ الزِّبَعْـرَي لِنَعْلي ثَابِـتٍ خَطَـرَا
كَمْ مِنْ كَرِيمٍ يَعَضُّ الْكَلْبُ مِئْزَرَهُ ثم يَفِـرُّ إذَا أَلْقَمْتَـهُ الحَجَـرَا
لَـوْلاَ النَّـبِيُّ وَقَـوْلُ الْحَـقِّ مَغْضَـبَةٌ لَمَا تَرَكتُ لكم أُنْثَى ولا ذَكَرَا [58]

ب – الفرار من القتال

كان الرجل العربي في قمة جاهليته يفاخر بمكارم الأخلاق؛ لذا قال الرسول –صلى الله عليه وسلم–: "إنما بعثت متممًا لمكارم الأخلاق". [59] والشجاعة والفروسية، والإقدام والثبات في ساحات الوغى، كانت من المفاخر يومئذ ولا زالت، وفي الجانب المقابل كان الجبن والخوف والفرار من ساحات الحرب من المناقص التي يعير بها الرجل، وفي يوم بدر تنبه حسان إلى أن الحارث بن هشام (شقيق أبي جهل) قد فرَّ من الحرب من شدة خوفه من جنود الله، فهجاه حسان وعيَّره بذلك. وكانت رسالة حسان بليغة أصابت الهدف؛ أي كانت تحمل العديد من المضامين والمعاني؛ إذ كان مراده زلزلة كيان جنود الكفر وإحباطهم، ومن ثم يسهل القضاء عليهم، إلا إن القصيدة جاءت مثل السيل الجارف؛ وكانت عليهم نارًا ودمارًا؛ لأنها وصفت قوة المسلمين وبأسهم:

يا حَـارِ قَـدْ عَوَّلْـتَ غَـيْرَ مُعَـوِّلٍ عِنْـدَ الْهِيَـاجِ وسَـاعَةِ الأَحْسَـابِ

58 – شرح ديوان حسان: ص/ 135. الرجل الغمر: الفارغ من كل شيء. هذر الرجل في كلامه: أي هذى. ثويهم: ضيفهم. وثابت والد حسان، أما الزبعري كان من رؤوس الكفر يومئذ.

59 – صحيح البخاري: باب الأدب المفرد، حديث رقم 273. وقال ابن عبد البر: "هو حديث صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره".

إذْ تَمْتَطِي سُرُحَ الْيَدَيْنِ نَجِيبَةً مَرَطَى الجِرَاءِ خَفِيفَةَ الأَقْرابِ
والْقَوْمُ خَلْفَكَ قَدْ تَرَكْتَ قِتَالَهُمْ تَرْجُو النَّجَاءْ فَلَيْسَ حِينَ ذَهَابِ
هَلاَّ عَطَفْتَ عَلَى ابْنِ أُمِّكَ إذْ ثَوَى فَعْصَ الأَسِنَّةِ ضَائِعَ الأَسْلاَبِ (60)

كما هجا حسان كفار قريش بعد غزوة بدر بقوله:

لَقَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٍ يَوْمَ بَدْرٍ غَدَاةَ الأَسْرِ والْقَتْلِ الشَّدِيدِ
بِأَنَّا حِينَ تَشْتَجِرُ الْعَوَالِي حُمَاةُ الرَّوْعِ يَوْمَ أَبِي الْوَلِيدِ
قَتَلْنَا ابْنَيْ رَبِيعَةَ يَوْمَ سَارُوا إِلَيْنَا فِي مُضَاعَفَةِ الْحَدِيدِ
وَفَرَّ بِهَا حَكِيمٌ يَوْمَ جَالَتْ بَنُو النَّجَّارِ تَخْطِرُ كَالأُسُودِ
وَوَلَّتْ عِنْد ذَاكَ جُمُوعُ فِهْرٍ وأَسْلَمَهَا الحُوَيْرِثُ مِنْ بَعِيدِ
لَقَدْ لاقَيْتُمُ خِزْيًا وذُلًّا جَهِيزَا بَاقِيًا تَحْتَ الْوَرِيدِ
وكَانَ الْقَوْمُ قَدْ وَلَّوْا جَمِيعًا وَلَمْ يَلْوُا عَلى الْحَسَبِ التَّلِيدِ (61)

وبدراسة النص دراسة منهجية؛ نرى أن الشاعر عندما مدح المسلمين دارت مفردات النص حول الشجاعة وعدم الخوف، وعدم الفرار من ساحات الحرب، بينما كانت المفردات التي استخدمها في هجاء الكفار هي الفرار وما يترتب على الفرار من خزي وعار، كذلك عمد الشاعر إلى ذكر رؤوس الكفر الذين ولوا الأدبار ساعتئذ؛ وهو في تعداده لهم؛ إنما يريد أن يؤرخ لهذا الفرار ويؤكده، وحقًا بلغ الشاعر مُناه في هذا الجانب، وبالغوص داخل النص يتضح لنا مدى فخر الشاعر بشجاعة الجندي المسلم؛ الذي يجاهد في سبيل الله، وقد باع نفسه رخيصة من أجل إعلاء كلمة الحق، بينما يكشف ضعف جنود الكفر ماديًا ومعنويًا، فضلًا

60 - شرح ديوان حسان: ص/ 44-45. الهياج: الحرب. وقوله ساعة الأحساب: أي ساعة المفاخرة بها. مرطى الجراء: أي سريعة الجري. حين ذهاب: ليس الوقت وقت فرار وهروب.

61 - ديوان حسان: ص/ 86-87.

عن ذلك ذكر الشاعر اليوم الذي وقعت فيه الغزوة والآثار السيئة التي غرستها الحرب في نفوس الكفار؛ والتي تتمثل في الأسر والقتل، وقدم الشاعر الأسر على القتل؛ لأن الأسر هو القتل المعنوي؛ لما يحمله من ذل وهوان وتعذيب؛ أما القتل الفعلي فإنه يضع حدًا لحياة الإنسان؛ لذا قد يكون أهون من الأسر وما فيه من ذل، ومن قوله في ذم الجبن والبخل:

خُـرْقٌ مَعَازِيـلٌ إذا جَـدَّ الْـوَغَى بُطُنٌ إذَا مَا جَاوَرَهُمْ لَمْ يَشْبَعِ (62)

ج – اللؤم والجهل

صوب حسان سهامه وسددها نحو كفار قريش، وقد أصاب الهدف عندما وضَّح سوء خُلقهم؛ وسوء الخُلق يجر على الإنسان الكثير من الويلات والآفات الاجتماعية؛ أي في علاقة الفرد بأخيه، ومن ثم تتأثر الأسرة والمجتمع، وكذلك يؤثر سوء الخلق في الحياة الفكرية والثقافية، وتركت أثارها السلبية وبصماتها السيئة في نفوس الكفار، ونجح حسان في زرع الإحساس بالهزيمة الداخلية في نفس كل فرد؛ ومن ثم تولد الانكسار الداخلي؛ لأن جرح اللسان أنكى من جرح السنان. وهكذا أرسل حسان رسالة بليغة إلى هوازن، وألصق بها صفة اللؤم؛ الذي يجر من خلفه كل المخازي من غدر وبخل:

أبْلِغْ هَوَازِنَ أَعْلاَهَا وَأَسْفَلَهَا أَنْ لَسْتُ هَاجِيهَا إلاَّ بِمَا فِيهَا

قِبِيلَةٌ أَلأَمُ الأَحْيَاءِ أَكْرَمُهَا وَأَغْدَرُ النَّاسِ بالجِيرَانِ وَافِيهَا

وَشَرُّ مَنْ يَحْضُرُ الأَمْصَارَ حَاضِرُهَا وشَرُّ بادِيَةِ الأَعْرَابِ بَادِيهَا

تَبْلَى عِظَامُهُمُ إمَّا هُمُ دُفِنُوا تَحْتَ التُّرَابِ ولا تَفْنَى مَخَازِيها (63)

62 – شرح ديوان حسان: ص/ 162. الخرق: جمع أخرق؛ وهو الأحمق. المعازيل: جمع معزال؛ وهو الجبان. والرجل البطن: أي الأكول.

63 – ديوان حسان: ص/ 254.

ورسالة حسان جاءت تحمل العديد من الأبعاد؛ فقد أفلح حسان في استخدام أسلوب الخطاب بمفرداته القوية؛ لما لهذا الأسلوب من رد فعل قوي وعلى نطاق واسع؛ فقد تمكن من سبي عقول كل السامعين؛ وبذا تجاوزت القصيدة خريطة الزمان والمكان، وحققت ما كان ينشده حسان من أهداف؛ ومن أهم هذه الأهداف الحراك الذي شهده المجتمع على المستوى الروحي والاجتماعي والفكري؛ ومما لا شك فيه إن هذه المحاور تركت بصماتها واضحة في حياة الفرد بصورة عامة.

وهكذا تمكن حسان من سلبهم أبجديات الفطرة السوية؛ التي فطر عليها الإنسان، ومن الصفات التي ألصقها حسان بالكفار صفة الجهل والبخل:

قَــوْمٌ لِئَــامٌ أَقَــلَّ اللهُ خَــيْرَهُمُ كَمَا تَنَاثَرَ خَلْفَ الرَّاكِبِ البَعَرُ

قَـدْ أَبْـرَزَ الله قَـوْلًا فَـوْقَ قَـوْلِهِمِ كَمَا النُّجُومُ تَعَالى فَوْقَهَا الْقَمَرُ (64)

والجهل الذي وصف به حسان الكفار هو السفه والطيش وليس الجهل؛ الذي ضد العلم، وأشار إليه عمرو بن كلثوم في معلقته:

ألا لا يَجْهَلَــنْ أحَــدٌ عَلَيْنَــا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِينَا (65)

وحدث أن جاء أُبي بن خلف إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– بعظم بالٍ، وقال له: "تزعم أن ربك يحي الموتى، فمن يحي هذا، وفَتَّهُ"، واستفز الموقف حسان ورد على أبي بجهله:

لَقَــدْ وَرَثَ الضَّــلالَةَ عَــنْ أَبِيــهِ أُبَيٌّ يَــــوْمَ فَارَقَــــهُ الرَّسُــــولُ

أَجِئْــتَ مُحَمَّــدًا عَظْمًــا رَمِيمًــا لِتُكْذِبَــهُ وأَنْــتَ بِــه جَهُــولُ

64 – شرح ديوان حسان: ص/ 136.

65 – شرح المعلقات العشر: أحمد بن الحسن الزوزني، مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1983م، ص/ 213. أي لايسفهن أحد علينا فنسفه فوق سفههم. وورد شرح هذا البيت في ديوان الشاعر (لا يجهلن أحد علينا فنعاقبه بما هو أعظم من جهله، ينظر ديوان عمرو بن كلثوم، تحقيق، إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، 1991م، ص/ 77).

وقَـدْ نَالـتْ بَنُـو النَّجـارِ مِـنْكُمْ أُمَيَّـــةُ إذْ يُغَـــوّثُ يا عَقِيـــلُ
وَتَـــبَّ إبْنَـــا رَبِيعَـــة إذْ أَطَاعـــا أَبَا جَهْـلٍ لأُمِّهِمـا الْهُبُـــولُ (66)

د – أثر الهجاء في الكفار

لم يكن الهجاء سبًا وشتمًا يستمر للحظات ويلتهمه الماضي، ومن ثم يدفنه في جوف النسيان؛ لكن للهجاء مردود سيء وأثر عميق يتركه في نفس الإنسان؛ ومن محاسن الهجاء وإيجابياته إزاحته للغشاوة من عيون الكفار، وجعلهم يلتفتون بل يتنبهون إلى محاسن الدين الجديد وإيجابياته وسماحته؛ لأن الشاعر عندما يتناول عيوب الكفار يشير إلى السؤدد والفضائل التي يتحلى بها المسلمون؛ ففي قصيدة واحدة تجد الشاعر يهجو ويمدح، ومن ثم قرر بعضهم الانضمام إلى هذا الدين الحنيف؛ الذي يصون حقوق الضعفاء، بكل فئاتهم وألوان طيفهم وتباينهم، بسبب الهجاء أصبح القبول على الدين الجديد أكبر؛ أي أصبح عدد الكفار في تناقص؛ بينما قويت شوكة المسلمين، واجتمعت لهم القوة المادية والمعنوية وأصبحوا أعزة بفضل الله تعالى.

وهكذا كان حسان بن ثابت القائد الأعلى لهذه الحرب الكلامية الضروس ضد أعداء الله ورسوله، جيش جيوشه، ورتب صفوفه، وكان دائمًا وأبدًا على أهبة الاستعداد للدفاع والذب عن محارم الله تعالى، وكتب الله تعالى له النصر، وتمكن من دحر فلول الكفر، وأعظم نصر حققه كان أن تسلل العديد من رؤوس الكفر ودخلوا في دين الله أفواجًا، على سبيل المثال لا الحصر أسلم أبو سفيان وحسن إسلامه، كما أسلم ابن الزِّبَعْرَي؛ الذي اشتهر بعداوته للإسلام والمسلمين، وغيرهما كُثر.

لقد جسد حسان فكره في كل النفوس المسلمة، وترك بصماته واضحة في

66 – شرح المعلقات العشر: ص/ 200. تَبَّ: دعاء بالموت. الهبول: الثكل.

التاريخ الإسلامي، وحسبه من الفخر دفاعه عن الرسول –صلى الله عليه وسلم– الذي ما زال إلى يومنا هذا صوت حق، ورسم صورة مشرقة ومشرفة للجهاد في سبيل الله عن طريق الكلمة؛ التي ضمخها بأريج التعاليم الإسلامية السامية، وجاءت لوحاته الفنية تحكي عن البطولات والتضحيات في سبيل رفع راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، وتنطق باسم أولئك الأفذاذ الذين عطروا بدمائهم سجل التاريخ الإسلامي، وأرسوا دعائم الحق ونصروا نبيه الكريم.

الخاتمة

على كل مسلم ومسلمة أن ينصب من نفسه حسانًا، ويستميت في الذود عن حياض الإسلام، ودحر فلول أعداء الله ورسوله، والتصدي لكل المحاولات الفاشلة؛ التي تحاول النيل من مقام المصطفى -صلى الله عليه وسلم-، وعلى الأمة المسلمة اليوم الوقوف بصلابة للرد على كل أعداء الإسلام، وأن تشمر عن سواعد الجد؛ لردع ودحر كل من تسول له نفسه بمحاولة النيل من مقام المصطفى – صلى الله عليه وسلم– ونصرة دين الله تعالى، كذلك يجب على كل مسلم ومسلمة رفع راية الجهاد ضد أعداء الله تعالى ورسوله الكريم، وقذف الرعب في نفوسهم. وأهم سلاح يهز كيان أعداء الله تعالى؛ بل أمضى سلاح، هو توحيد صفوفنا؛ وأن نوظف الكلمة لخدمة ديننا الحنيف؛ كما وظفها حسان بن ثابت، ومن سار على نهجه.

كما يجب على الأمة المسلمة أن تسخر كل ما حباها الله تعالى به من موارد اقتصادية، ومواقع إستراتيجية، وموارد بشرية، وسواعد فتية، وهمم أبية؛ للذود عن حياض الدين الحنيف، قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ ... ﴾. (67)

الذب عن محارم الله تعالى لا يكون بحمل السلاح فقط؛ فسلاح الكلمة لا يقل شأنًا من السلاح المادي، وعلى المسلم أن يتسلح بما يناسبه من السلاح، مع إخلاص النية وصدق التوجه لله تعالى، كذلك وجب علينا أن نجاهد بالرأي ونجاهر به؛ حتى نهجم عليهم هجمة رجل واحد، فيتشتت شملهم، ويتفرق جمعهم، ولسان حالنا يردد كلنا فداك يا رسول الله.

كان حسان من الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه. وسخر كل مهاراته وقدراته وملكاته الأدبية من أجل رفع راية الإسلام، وأقر الرسول -صلى الله عليه

67 - سورة الأنفال آية / 60.

وسلم– جهاد حسان بلسانه، وكان يقسم له في الفيء. وإن لم يحمل السلاح ويقاتل بيده؛ لكنه حمل شرف الكلمة وسخرها للذب عن محارم الله تعالى؛ وربما نفسه المرهفة الشاعرية كانت تكره أن ترى منظر الدماء يسيل أو الرؤوس تتطاير؛ لكنه تمكن من حصد كل ألسنة الكفر وأفحمهم؛ فالموت المعنوي أشد وطأة على نفس العدو من الموت الفعلي؛ الذي يغادر بعده أعداء الله ورسوله إلى الدرك الأسفل من جهنم.

وظف حسان كل معطيات البيئة والعصر واستثمرها لخدمة النص الأدبي؛ لذا جاءت قوافيه وهي تحمل العديد من المعاني والمضامين. وحتى نحقق الغاية المرجوة من السجل المعرفي الضخم؛ الذي زود به حسان الأمة المسلمة؛ لابد من محاولة الغوص داخل هذا البحر العميق؛ لنستخرج منه الدر النفيس والروض ما زال أنفًا.

ومجمل القول كان شعر حسان بن ثابت بعد أن شرح الله تعالى صدره للإسلام شعر نضال مشحون بلهيب الثورة؛ التي أشعلها الكفار في قلب كل مؤمن غيور على دينه محب لنبيه الكريم –صلى الله عليه وسلم–. لقد ترجم حسان مشاعر وأحاسيس كل المؤمنين يومئذ وشفى وأشفى كما قال الرسول –صلى الله عليه وسلم– وحاشا لله لم يلن شعره أو يضعف بعد الإسلام؛ لكن سماحة الدين الحنيف تركت بصماتها في شعره وهذبت نفس البدوي فيه، على الرغم من أن شاعر النبوة كان قد اكتسب بعض أسباب الحضارة من رحلاته التي قام بها خارج نطاق جزيرة العرب، ومعاشرته للملوك والسادة والأشراف؛ فضلًا عن ذلك فحسان من شعراء الحضر؛ عاش في المدينة لكن، أمام تعاليم الإسلام وقيمه السامية تتقاصر كل أسباب المدنية والحضارة.

وأختم قولي بهمزية حسان:

وَأَحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي وأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ
خُلِقْتَ مُبرَّءًا مِنْ كُلِّ عَيْبٍ كَأَنَكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ [68]

حقًا صدق حسان، وأنى له أن يفي بمدح من مدحه الله تعالى في أعظم كتاب؛ بل أصبح مدحه قرآنًا يتلى ويتعبد به زلفى لله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾. [69]

68 – ديوان حسان: ص/ 21.

69 – سورة القلم آية/ 4.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. الأدب الجاهلي: غازي طليمات وعرفان الأشقر، دبي، مكتبة الإيمان، الطبعة الأولى، 1992م.
2. أدب العرب في صدر الإسلام: حسين الحاج حسن، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1992م.
3. الإسلام والنصر: محمود خطاب سيث، مكتبة النهضة، بغداد، د. ت.
4. الإعلام والاتصال بالجماهير: إبراهيم إمام، مكتبة الأنجلو المصرية، د. ت.
5. الأغاني: الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1986م.
6. بحور الشعر العربي عروض الخليل: غازي يموت، دار الفكر اللبناني، الطبعة الثانية، 1992م.
7. تاريخ الأدب العربي: عمر فروخ، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة، 1984م.
8. التفسير النفسي للأدب: عز الدين إسماعيل، دار العودة، بيروت، د. ت.
9. تيسير العلي القدير لاختصار ابن كثير: تعليق محمد نسيب الرفاعي، مكتبة المعارف، مصر، د. ت.
10. حسان بن ثابت حياته وشعره: يوسف عيسى، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1991م.
11. الحرب النفسية: صلاح الدين نصر، الطبعة الثانية، د. ت.
12. درس السيمولوجيا (كتاب): رولان بارت، ترجمة، بنعبد العالي، دار

توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1993م.

13. ديوان حسان بن ثابت: شرح، عبده مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1994م.

14. ديوان عمرو بن كلثوم: تحقيق، إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، 1991م.

15. السيرة النبوية: أبو الحسن علي الحسني الندوي، دار ابن كثير، ط12، 2001م.

16. السيرة النبوية: ابن هشام، تحقيق، محمد عبد الرحيم ومحمد عبد الله، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة الأولى، 1988م.

17. شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري: وضعه وضبطه، عبد الرحمن البرقوقي، المطبعة الرحمانية، مصر، 1929م.

18. شرح المعلقات العشر: أحمد بن الحسن الزوزني، مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1983م.

19. شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام: النعمان القاضي، دار المنارة، السعودية، الطبعة الأولى، 1988م.

20. الشعر والشعراء: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق، مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1985م.

21. الشعر والشعراء في عصر النبوة والخلافة الراشدة: غازي طليمات وعرفان الأشقر، دار الفكر دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، 2007م.

22. شعراء الرسول في ضوء الواقع القريض: سعيد الأعظمي الندوي، مكتبة الصفاء، أبوظبي، الطبعة الأولى، 2009م.

23. صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، 2002م.

24. العصر الإسلامي: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، الطبعة السابعة، د. ت.

25. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: أبو الحسن بن علي بن رشيق القيرواني، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، الطبعة الرابعة، 1972م.

26. لسان العرب: ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1992م.

27. ما هي السيميولوجية؟: رولان بارت، ترجمة، محمد نظيف، مكتبة أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1994م.

28. مدخل إلى لغة علم النص: روبرت ديبوغراند وآخرين، مطبعة دار الكاتب، القدس، 1992م.

29. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: جواد علي، دار العلم للملايين، بيروت، 1978م.

30. مقدمة في نظرية الشعر الإسلامي: عبد الباسط بدر، دار المنارة، جدة، د. ت.

31. من أدب الدعوة الإسلامية: عباس الجراري، دار الثقافة، الطبعة الثانية، 1981م.

32. النصوص الأدبية المختارة: علي حسين العتوم، مكتبة الفلاح للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1995م.

33. نقد النص: علي حرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1995م.